



مركز حرمون
للدراستات المعاصرة
HARMOON
Arařtirmalar Merkezi
For Contemporary Studies

استيلاء حافظ الأسد على السلطة رغم هزيمة 1967: أهمية الأصدقاء والولاء والخوف في أنظمة البعث



ترجمات

ترجمة: أحمد عيشة



مركز حرمون لِلدِّرَاسَاتِ المَعَاوِرَة

هو مؤسّسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والمجتمعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضاً بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، وبالعلاقات العربية الإقليمية والدولية .

يُنْفِذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميداناً للحوار البناء، وساحة لتلاقح الأفكار

قسم الدراسات:

يُقَدِّم هذا القسم الدراسات العلمية والموضوعية التي تناقش القضايا السورية الأساسية، وتعالج المشكلات الرئيسية، وتقترب الحلول والبدائل المناسبة، وهو مسؤول عن إنتاج المواد البحثية العلمية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والثقافية والتربوية، التي تستند إلى جهدٍ بحثيٍّ أصيلٍ ورصينٍ يتوافق مع أصول العمل البحثي العلمي.

يحرص قسم الدراسات على تقديم قراءات للواقع الراهن، ويضع على جدول أعماله إنتاج دراسات من الفئات البحثية كافة، بهدف إعادة بناء المنظومة الفكرية والسياسية والقانونية والثقافية والتربوية في سورية المستقبل، ويستكشف التأثيرات المتبادلة بين السياسة والاقتصاد والقانون والمجتمع والفكر، ويبحث في تأثيرات الحرب السورية وسبل تجاوزها في المستقبل في نظام ديمقراطي تعددي تداولي.



استيلاء حافظ الأسد على السلطة رغم هزيمة 1967: أهمّية الأصدقاء والولاء والخوف في أنظمة البعث

Hafez al-Assad's Seizure of Power Despite the 1967 War Defeat: On the Importance of Friends, Loyalty, and Fear in the Ba'th Regime	اسم الدراسة الأصلي
Merve Kania، مروة كانيا	الكاتب
مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، جامعة لندن، School of Oriental and African Studies (SOAS)، كانون الأول/ ديسمبر 2019	مكان النشر وتاريخه
https://2u.pw/IQP9k	رابط الدراسة
7200	عدد الكلمات
وحدة الترجمة/ أحمد عيشة	ترجمة

الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المركز



المحتويات

3.....	ملخص
4.....	مقدمة
6.....	دور الأسد خلال حرب 1967 وما بعدها
10.....	الأسد وتخصيص المواقع، والإبقاء عليها، والاستيلاء عليها في أنظمة البعث
18.....	الخلاصة: ما دور حرب 1967 في استيلاء حافظ الأسد على السلطة وترسيخها؟



ملخص

بعد حوالي خمسين عامًا من حرب 1967، ما يزال دورُ حافظ الأسد (وزير الدفاع السابق)، في التكتيكات العسكرية السورية التي أدت إلى خسارة كلِّ من الحرب والأراضي السورية في تلك الحرب، وفي القرارات التي أدت إلى استحوازه على السلطة لاحقًا (عادةً ما يؤرخ ذلك في 1970) غير معروف إلى حد بعيد. بالاعتماد على المواد الثانوية الأكثر دقة عن أنظمة البعث السوري السابقة، تجادل هذه الورقة بأنَّ الخوف بعد الهزيمة من انهيار النظام التام، مع حالة الإحباط، خلق الظروف التي سمحت للأسد بالاستحواذ على السلطة، بمساعدة الأصدقاء وأفراد العائلة المخلصين، على مدار الأعوام الخمسة التالية.

مقدمة

تعدّ حرب عام 1967 (المعروفة أيضاً باسم «حرب الأيام الستة» أو «حرب حزيران/ يونيو» أو «الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة») واحدة من أكثر الحروب تأثيراً في تاريخ الشرق الأوسط، إن لم تكن الحرب الأكثر تأثيراً⁽¹⁾. والواقع أن فوز إسرائيل لم يقتصر على هزيمة التحالف (كونسورتيوم) العربي بين مصر وسورية والأردن، بل شمل أيضاً تدمير جزء كبير من جيوشها واجتياح القدس الشرقية والضفة الغربية (من الأردن) وشبه جزيرة سيناء (من مصر) وهضبة الجولان (من سورية) ما أدى إلى تغيير النظام الإقليمي ومهد الطريق لحرب 1972⁽²⁾ [ربما ورد العام خطأً، والمقصود حرب 1973]. ولكن بعد مرور أكثر من خمسين عاماً على حرب 1967، فإن القرارات العسكرية التي أدت إلى هذه النتائج عادة ما تكشفها لنا مصادر الاستخبارات الأميركية والإسرائيلية⁽³⁾ المتركزة على تصرفات مصر وإسرائيل⁽⁴⁾. هناك عدد قليل من الروايات التي تركز على المنظور الخاص بكلٍ من سورية والأردن، فضلاً عن الآثار المترتبة على النظم والمجتمعات المعنية في ذلك الوقت⁽⁵⁾. وعلى حين أن التوثيق العربي غالباً ما لا يُترجم أو أنه غير موجود⁽⁶⁾، فإن معظمه يندرج تحت تحليل «الانتكاسة» الشاملة (النكسة) التي ألحقها الهزيمة بجميع المجتمعات العربية ككل⁽⁷⁾.

(1) - نوقشت حرب 1967 أيضاً بسبب تأثيرها على زوال «القومية العربية» وظهور الإسلام السياسي في الشرق الأوسط. للاطلاع على التفسيرات التي ترى أن حرب 1967 هي السبب الرئيس للظاهرتين أعلاه، انظر: ب. طيبي، القومية العربية: بين الإسلام والدولة القومية، الطبعة الثالثة (باسينجستوك: ماكميلان، 1997)، ص. 214؛ وأوليفيه روا، سياسة الفوضى في الشرق الأوسط (لندن: هيرست، 2008)، ص. 52. وللإطلاع على المواقف التي تناقض تلك الاستنتاجات، انظر: ر. الخالدي، «حرب 1967 وزوال القومية العربية»، في حرب 1967 العربية الإسرائيلية: الأصول والعواقب (مطبعة جامعة كامبريدج، 2012)، ص. ص 264-84؛ وجرجس، «تحول السياسة العربية».

(2) - انظر، على سبيل المثال، ف. جرجس، «تحول السياسة العربية: فك الارتباط بين الخرافة والواقع»، في شلايم ولويس، الحرب العربية الإسرائيلية 1967: الأصول والنتائج، 2012، ص. ص 314-285؛ وعجبي، المأزق العربي: الفكر السياسي العربي والممارسة منذ عام 1967 (كمبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 1981).

(3) - انظر على سبيل المثال، هارتوك، «تاريخ القوات الجوية السورية 1947-1967» (كلية الملك لندن، 2015)؛ وجون بوين، «حرب 1967: ستة أيام غيرت الشرق الأوسط»، في بي بي سي نيوز (5 حزيران/ يونيو 2017).

<https://2u.pw/6Engj>

(4) - انظر على سبيل المثال، لارون، حرب الأيام الستة: تحطيم الشرق الأوسط (نيوهافن: لندن: مطبعة جامعة يال، 2017)؛ وهامل، ستة أيام في حزيران/ يونيو: كيف فازت إسرائيل في الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967 (التاريخ العسكري في المحيط الهادئ، 2010).

(5) - بخصوص سورية، انظر: راينوفيتش، «سورية وحرب الأيام الستة: وجهة نظر بعد خمسين عاماً، معهد بروكينغز، (2017)؛ وعلاء الدين، «سورية اليوم وإرث حرب 1967»، في معهد بروكينغز (2017)،

<https://2u.pw/KXjTv>

ومان، «سورية، الفاصل في حرب الأيام الستة»، دراسات الشرق الأوسط، المجلد 49، العدد 4 (2013): 547-62. وفيما يتعلق بالأردن، انظر: مطاوي، الأردن في حرب 1967 (كمبريدج: نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 2002).

(6) - أ. أبو اللغد، «مقدمة»، في [محرر] المواجهة العربية الإسرائيلية في حزيران/ يونيو 1967: منظور عربي (إيفانستون، إيلينوي: مطبعة جامعة نورث وسترن، 1970)، ص. 9. ويطاطو، «فلاحو سورية: أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأنًا وسياساتهم» (برينستون، نيوجيرسي: برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1999)، ص. 200.

(7) - ياسين الحاج صالح، الهزيمة والدولة: حزيران 1967 وسورية حافظ الأسد، في الجمهورية (2018). وصادق جلال العظم، النقد الذاتي

تستخدم هذه الورقة دور حافظ الأسد، وزير الدفاع في ذلك الوقت والرئيس لاحقًا، كمنظور لإعادة بناء القرارات التكتيكية التي أدت إلى خسارة مرتفعات الجولان (المشار إليها فيما يلي باسمها العربي محافظة القنيطرة) وتأثيرها على نظام البعث السوري (غالبًا ما يُترجم أيضًا باسم البعث)، بشكل عام، واستيلاء الأسد على السلطة الحاكمة وتوطيدها لاحقًا. الحجّة المقدّمة هنا هي أن الآثار الاجتماعية والسياسية للحرب على قيادة البعث (الخوف الجماعي من انهيار النظام) وعلى حافظ الأسد، كفرد (الإحباط)، كانت محورية لاستحواد الأسد على السلطة الحاكمة وتوطيدها، ولم يكن ذلك بسبب الأحداث الواقعية للحرب نفسها. خلقت هذه العوامل زخمًا طارئًا سمح له بالتحول على التوالي إلى رجل سورية القوي، بمساعدة الأصدقاء المخلصين وأفراد الأسرة بين عامي 1968 و1972. واعتمادًا على مراجعة شاملة للأدبيات، لا سيما الرؤية الداخلية لحزب البعث التي توفرها الأعمال الأساسية لباتريك سيل (2008) ⁽⁸⁾ وحنّا بطاطو (1999) ⁽⁹⁾، ستحلل هذه الورقة العلاقات الشخصية التي تدعم توزيع الحصص، والمحافظة عليها، والاستيلاء على المناصب في الأنظمة.

تُسهّم هذه الورقة في إظهار ثلاثة فروق دقيقة في الأدبيات المتعلقة بحرب 1967 نفسها، والأدبيات المتخصصة حول الأنظمة البعثية على وجه الخصوص. وتسلّط الضوء أولاً على الدور الذي لعبه الأسد خلال حرب حزيران/يونيو، وأبوالأحرى الروايات المتضاربة حوله، والعواقب التي خلفها البعث. أي أن الأسد لم يتمكن من الاحتفاظ بمنصبه كوزير للدفاع وعضو في قيادة البعث القطرية إلا بفارق صوت واحد، بينما تمت إطاحة الرفيق الآخر، أحمد المير. ثانيًا، بالانتقال إلى العلاقات والظروف التي عززت هذا التصويت، سيظهر أن خليطًا من الانقسامات الداخلية في حزب البعث، وعلاقة الأسد القوية، والفرص الطارئة، فضلًا عن خوف البعثيين الجماعي من إطاحتهم، قد مكّن الأسد هو و«مجموعة الاستيلاء» من التخلص على التوالي من الموالين لصالح جديد، الرجل القوي السابق، واستبدالهم. يختلف هذا التحليل عن معظم المؤلفات حول نظام الأسد، بمعنى أنه لا يحدد تاريخ الاستيلاء على «سلطته» في عام 1970، بل عام 1968، بسبب شبكات من العناصر المؤثرة الموالية للأسد. في الوقت نفسه، يسلّط هذا الضوء على هشاشة سلطة اتخاذ القرار في النظام، وحقيقة أن «سلطة الأسد» لم تتوطد إلا بعد انتخابه في عام 1972.

بعد الهزيمة، تحرير. ستيرجيبوس، وعجمي، وفيصل دراج (لندن، إنجلترا: دار الساق، 2011).

(8) - باتريك سيل، أسد سورية، الصراع على الشرق الأوسط، تحرير ماك كونفيل (بيركلي، كاليف: بيركلي، كاليف، 2008).

(9) - مرجع سابق، بطاطو، فلاحو سورية.

دور الأسد خلال حرب 1967 وما بعدها

يتناول هذا القسم دور حافظ الأسد خلال حرب 1967، وتعامل القيادة السورية مع الهزيمة في ذلك الوقت. بالاعتماد على باتريك سيل⁽¹⁰⁾ وحنّا بطاطو⁽¹¹⁾، يجادل هذا القسم من الورقة بأن الروايات المتباينة بصدد مسار بعض المعارك الرئيسية تجبرنا على التساؤل إلى أي مدى اتخذ الأسد، من خلال منصبه كوزير للدفاع وعضو في نظام البعث، قرارات مهمة على نتائج الحرب. السؤال المحوري هو هل حقًا كان لدى الأسد (أ) جميع المعلومات، و(ب) السيطرة الكاملة على التكتيكات والاستراتيجيات المستخدمة؟ يعتمد عمل باتريك سيل على وثائق البعث الرسمية، وعلى مقابلات مع بعض أقرب مستشاري الأسد والمقربين منه ومع الأسد نفسه⁽¹²⁾، أجرى بطاطو مقابلات مع عشرات من البعثيين، خلال الثمانينيات والتسعينيات، ولكن ليس مع الأسد نفسه⁽¹³⁾، الروايات التي قدموها لا تشكل بالضرورة ببعضها، بل تضيف إلى بعضها البعض. والسبب الأساسي لذلك هو أن من المتوقع أن تحتوي الروايات اللاحقة من منظور الراوي صورًا عن دور الجهات الفاعلة المشاركة في حدث مثير للجدل، وعن ودور الآخرين من منظور مستقر أو مبالغ فيه أو أكثر خيرًا / ضررًا⁽¹⁴⁾.

من الضروري تحديد أسباب الحرب غير المتنازع عليها ومساراتها بإيجاز. أولًا، على الجانب السوري، تُنسب مسؤولية اندلاع حرب حزيران إلى «القيادة السياسية»، أي إلى صلاح جديد، الأمين العام لحزب البعث*، وإلى يوسف زعيّن، رئيس الوزراء السوري. وهي قيادة لا ينتمي إليها الأسد، لكنه أسهم فيها بلا شك، على سبيل المثال. من خلال الاستمرار في السياسة القائمة المتمثلة في إطلاق النار الاستفزازي والاشتباكات البرية والجوية على الحدود مع إسرائيل، من تاريخ تعيينه وزيرًا للدفاع ابتداءً من شباط/فبراير 1966 وما بعده⁽¹⁵⁾. وفي الوقت نفسه، كان الأسد، مثله مثل غيره من الضباط العسكريين، قد حذر القيادة السياسية من أن الجيش في حالة غير ملائمة لشن الحرب، بسبب كثير من محاولات الانقلاب الناجحة والفاشلة بين عامي 1964 و1966 التي أدت إلى تحولات في القيادة، وتطهير الضباط المرتبطين بالفصائل المتنازعة في جميع

(10) - مرجع سابق، باتريك سيل، الصراع على الشرق الأوسط.

(11) - مرجع سابق، بطاطو، فلاحو سورية.

(12) - مرجع سابق، باتريك سيل، الصراع على الشرق الأوسط.

(13) - مرجع سابق، بطاطو، فلاحو سورية.

(14) - فيما يتعلق بفائدة المذكرات، انظر: نيكولاس فان دام، الصراع على السلطة في سورية: السياسة والمجتمع تحت حكم الأسد وحزب البعث (توريس، 2011)، ص 157.

(*) - كان صلاح جديد الأمين القطري المساعد، لكنه المسؤول الحزبي الأول في سورية، وكان الدكتور نور الدين الأتاسي هو الأمين العام والأمين القطري للحزب، [المترجم].

(15) - رشيد الخالدي، «نظام الأسد والمقاومة الفلسطينية»، مجلة دراسات عربية، المجلد 6، العدد 4 (1984): ص. 259؛ وكراسنو، «مقابلة مع السفير جورج طعمه، 16 آذار/مارس 1998، عمان، الأردن»، ي.ال- الأمم المتحدة للتاريخ الشفوي، 1998، ص. 42؛ وباتريك سيل، أسد سورية، ص. 118 - 120؛ وهشام شرابي، «تمهيد للحرب: أزمة أيار/مايو-حزيران/يونيو 1967»، في أبو اللغد، المواجهة العربية الإسرائيلية في حزيران/يونيو 1967: منظور عربي (إيفانستون، إلينوي: مطبعة جامعة نورث وسترن، 1970)، ص. 49 - 85.

صفوف الجيش⁽¹⁶⁾. ومن غير المتنازع عليه أن الأسد، خلال الأيام الأربعة الأولى من الحرب (5 حزيران/ يونيو إلى 8 حزيران/ يونيو)، ظلّ سلبيًا إلى حد كبير، وأمر بشكل متقطع بإرسال الدوريات وإطلاق بعض القذائف عبر الحدود الإسرائيلية⁽¹⁷⁾. وقد ردّت إسرائيل على هذه المناورات بقصف مكثف وتدمير للقوات الجوية السورية في 9 حزيران/ يونيو⁽¹⁸⁾. الحادث الوحيد المتنازع عليه هو معركة محافظة القنيطرة، في الفترة من 9 إلى 10 حزيران/ يونيو، التي غزتها واحتلتها إسرائيل وأنتهت الحرب. وفي هذا الصدد، هناك ثلاث روايات متباينة بصدد دور الأسد وأعضاء آخرين في حزب البعث.

الأولى، يدّعي سيل أن الأسد لم يكن صانع القرار الحصري ولا الأساسي، على المستوى التكتيكي⁽¹⁹⁾. وفي ليلة 9-10 حزيران/ يونيو، أصدر أحمد السويداني، رئيس هيئة الأركان، أمرًا بالانسحاب إلى الشمال من القنيطرة، وهي مدينة الجولان الرئيسة، والانضمام إلى الدفاع عن العاصمة⁽²⁰⁾. وعلى ذلك؛ يُفترض أن أحمد المير، قائد جبهة الجولان، قد نصح السويداني بذلك⁽²¹⁾. عند الساعة 8:45 (غرينتش + 2)، أذاع إعلان وزارة الدفاع كذبًا من إذاعة دمشق أن مدينة القنيطرة سقطت، مما أدى إلى هزيمة وتراجع المعركة وإعادة انتشار القوات⁽²²⁾. وبسبب هذا الانسحاب فقط، انفتح الطريق المؤدي إلى مدينة القنيطرة والقرى المحيطة بها. بعد ذلك، انتهم الجيش الإسرائيلي الفرصة واحتل المنطقة. في هذه الرواية عن الأسد نفسه، لم يتم ذكر الشخص الذي أصدر الإعلان في وزارة الدفاع. كان الأسد قد علم بذلك ببساطة، «بعد أكثر من ساعتين»، وكان سيصدر بعد ذلك تصحيحًا على الفور، أي حوالي الساعة 10:45 إلى 11:00⁽²³⁾.

في مقابلة أجريت عام 1986 مع الدكتور إبراهيم ماخوس، وزير الخارجية السوري عام 1967، أشار ماخوس إلى أن الأسد هو الذي أمر بإصدار البيان الشهير رقم 66 من وزارة الدفاع، إثر تقرير شفهي تلقاه من الجبهة⁽²⁴⁾. وهكذا، كان الخطأ أن الأسد لم يتحقق من دقة الموقف قبل إصدار البيان وإذاعته، من خلال عدم استشارة «القيادة السياسية» السورية، أي القيادة القطرية لحزب البعث⁽²⁵⁾. يبدو من الصعب تصديق عدم تدخل الفرع السياسي، من ضمن ذلك ماخوس، وزير الخارجية، عند أخذ مذكرات سامي الجندي عام 1969، سفير سورية في باريس في الحسبان، كتب الجندي أنه فوجئ برؤية «ممثّل سورية في

(16) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 137-144، وانظر أيضًا بطاطو، فلاحو سورية، ص. 157-199، وريموند هينبوش، سورية، الثورة من الأعلى (لندن: روتليدج، 2001)، ص. 58، ومان، «سورية، الفاصل في حرب الأيام الستة»، ص. 555.

(17) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 138.

(18) - المرجع السابق، ص. 138-140.

(19) - المرجع السابق، ص. 137-141.

(20) - المرجع السابق، ص. 140.

(21) - المرجع السابق.

(22) - المرجع السابق، ص. 140-141.

(23) - المرجع السابق، ص. 140.

(24) - مرجع سابق، بطاطو، فلاحو سورية، ص. 199.

(25) - المرجع السابق.

الأمم المتحدة يعلن سقوط القنيطرة... ومندوب إسرائيل ينفي⁽²⁶⁾.

بعد ذلك، من المفترض أن ماخوس قال للجندي إنها «كانت خطة ماهرة ل (إنذار) العالم، حتى يتم إنقاذ دمشق»⁽²⁷⁾، من خلال الضغط الدولي من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأميركية. أكدت مقابلة أجريت عام 1998 مع ممثل سورية السابق لدى الأمم المتحدة، جورج طعمة، والتحقيقات/التدقيقات في إجراءات مجلس الأمن، أن القيادة السياسية السورية اتبعت بالفعل هذه الاستراتيجية⁽²⁸⁾. يعترف طعمة بأنه أدلى بتصريحات استفزازية بعد الساعة 11:30، بعد البث التصحيحي المزعوم للأسد⁽²⁹⁾.

على غرار الأنظمة ذات الصلة في مصر والأردن ما بعد الحرب⁽³⁰⁾، تبادل "الحزب، ممثلًا بالقيادة العليا، والحكومة الاتهامات"⁽³¹⁾. طلب بعض أعضاء الحزب استقالة الأسد من منصبه كوزير للدفاع، وإسقاط عضويته في القيادة القطرية لحزب البعث، وطرح القيادة القطرية ذلك للتصويت في اجتماع طارئ. فشل التصويت، فقط بسبب عبد الكريم الجندي، ابن عم السفير السوري السابق في باريس⁽³²⁾. وفي غضون ذلك، «تقاعد» أحمد المير، الذي كان يقود جبهة الجولان، من هذا المنصب، وعرض عليه مقعد في القيادة القطرية لحزب البعث، وفي تشرين الأول/أكتوبر 1968، عُيّن سفيرًا في مدريد⁽³³⁾. وعلى النقيض من ذلك، لا يمكن تأكيد حدوث أي نقاش حول مصير السويداني أو الدكتور ماخوس أو جديد، وإن كان الأول يتحمل نصيبه من المسؤولية عن الانسحاب في القنيطرة، ويتحمل الاثنان عن اندلاع الحرب⁽³⁴⁾.

على الرغم من أننا لا نستطيع أن نثبت على وجه اليقين مسار عمليات صنع القرار في حزب البعث أثناء حرب 1967 وبعدها، يمكننا أن نقارب الحقيقة عند التشكيك في/مسألة الإجراءات التي اتخذت والتي لم تُتخذ في أعقابها. خلال الستينيات، كان مسار مثل مسار المير شائعًا لدرجة أنه كان من السهل إبعاد الأسد والسويداني وجديد، حيث كانوا غير مقبولين من قبل النظام، أو إرسالهم إلى سجن المزة في دمشق،

(26) - المرجع السابق، ص. 200.

(27) - المرجع السابق.

(28) - كراسنو، «مقابلة مع السفير جورج طعمة، 16 آذار/مارس 1998، عمان، الأردن»، ص. 42؛ وبار-زوهر، السفارات في أزمة: الدبلوماسيون والديمقراطيون وراء حرب الأيام الستة (إنجليوود كليفس، نيو جيرسي: برنتيس هول، 1970)، ص. 262.

(29) - المرجع السابق.

(30) - في مصر، اقترب الرئيس جمال عبد الناصر من انهيار عصبي وجسدي، وانتحر المشير عامر، قائد الجيش ووزير الدفاع، بينما وقعت في الأردن اتهامات متبادلة معروفة بين الملك حسين وضباطه. سيل، أسد سورية، ص. 142؛ الحاج صالح، «الهزيمة والدولة: حزيران 1967 وسورية حافظ الأسد».

(31) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 142.

(32) - المرجع السابق.

(33) - المرجع السابق، وانظر أيضًا فان دام، الصراع على السلطة في سورية، ص. 67.

(34) - لن يكون هذا غير عادي، مع الأخذ في الحسبان أن حوالي 12,5 في المئة فقط من شاغلي المناصب يفقدون مناصبهم في غضون عامين بعد الهزيمة العسكرية. انظر: ويكس، "هل سيحاسب المستبدون؟ عقوبة ما بعد الحرب في الأنظمة الاستبدادية" الاجتماع السنوي لجمعية العلوم السياسية الأميركية، 2009، ص. 1-60؛ وكذلك دبس وجومانز، «نوع النظام، ومصير القادة، والحرب»، الجمعية العلوم السياسية الأميركية، العدد 03 (1 آب/أغسطس 2010): ص. 445-430.



حيث كانوا يشكلون تهديدات سياسية رفيعة المستوى⁽³⁵⁾. السؤال إذن هو لماذا تم تغيير منصب المير، بينما بقي الثلاثة الآخرون في مناصبهم، بغض النظر عن مدى مسؤوليتهم المتعمدة/ غير المتعمدة عن العناصر المختلفة التي شكلت النكسة. لفهم هذا الأمر، من الأهمية بمكان تفكيك الديناميكيات داخل حزب البعث التي عززت توزيع الحصص والمناصب، والاستيلاء والحفاظ عليها.

(35) - حول انتشار هذه الممارسات، انظر سيل، أسد سورية، ص. 59؛ وأوين، صعود وسقوط الرؤساء العرب من أجل الحياة (كامبريدج، ماساتشوستس: كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، 2012)، ص. 80.

الأسد وتخصيص المواقع، والإبقاء عليها، والاستيلاء عليها في أنظمة البعث

تنظر معظم النظريات حول الديناميات الداخلية لأنواع الأنظمة الاستبدادية فقط إلى الآليات التي تمكن القائد الأعلى (المعروف أيضًا باسم «الرجل القوي» أو «الديكتاتور») من الاحتفاظ بمنصبه. على النقيض من ذلك، فإن الأفكار حول الأفراد الذين يشكلون جزءًا من المجموعة الذين يعتمد الدكتاتور على دعمهم وكذلك كيفية استيلاء المرء على هذا الموقف الأكثر نفوذًا، قليلة ونادرة. الحجة الأكثر صلة بالموضوع هي أن المجموعة التي يكتسب «الرجل القوي» بدعمها موقعه القوي من القائد الأعلى الحالي، والتي تسمى بـ «مجموعة الاستيلاء»، تميل إلى اختيار الوسائل «الأكثر طبيعية» للموارد التي لديها⁽³⁶⁾. على سبيل المثال، من الطبيعي أن يختار الضباط العسكريون «الأسلحة»، ويكتسبون السلطة من خلال الانقلابات⁽³⁷⁾. بالإضافة إلى ذلك، يميل كبار القادة إلى تثبيت الأشخاص «المخلصين» من أعلى إلى أسفل، كآلية «لمنع الانقلاب» في الرتب التي تليهم⁽³⁸⁾. في نفس الوقت، «الائتلافات الراححة»، وهي «مجموعة الأشخاص الذين يجب أن يدعموا حاكمًا حتى يظل في السلطة»، و«المختارون»، أي «مجموعة الأشخاص الذين يتمتعون بالسلطة السياسية»، بحاجة إلى صقلهم وثقيفهم من خلال توزيع العناصر السياسية والمكاسب الاقتصادية، مقابل التزامهم بالامتناع عن إطاحته⁽³⁹⁾. وعلى هذا النحو، فإن الجانب الوحيد الذي تم التنظير له حول أعضاء مجموعات الاستيلاء هذه، والائتلافات الراححة، والمختارون، هو أنهم سيختارون إما الرجل القوي الحالي وإما جانب المنافس بطريقة تشبه الاختيار العقلاني في «لعبة التنسيق» [نوع من الألعاب المتزامنة المستخدمة في نظرية اللعبة، عندما يستفيد اللاعبون من تنسيق أنشطتهم من خلال اتخاذ نفس القرارات]⁽⁴⁰⁾.

ماذا حدث في نظام البعث بعد 1967؟

في دراستهما المقارنة حول خيارات الحكام الاستبداديين في الشرق الأوسط تجاه هزيمة ما بعد الحرب، يجادل هونيغ وريتشارد في أن حزب البعث السوري، في أثناء أزمة الشرعية التي اندلعت بعد هزيمة عام 1967، كان يعاني انتقادات شديدة بسبب تحريضه على ... [الحرب] من خلال تصعيده للأعمال العدائية

(36) - جيديس ورايت وفرانتز، كيف تعمل الدكتاتوريات: القوة والتخصيص والانهيار (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2018)، ص. 27؛ جيديس، رايت، وفرانتز، «الانهيار الأوتوقراطي وانتقالات النظام: مجموعة بيانات جديدة»، وجهات نظر حول السياسة 12، العدد 2 (2014): ص. 713.

(37) - المرجع السابق، جيديس ورايت وفرانتز، كيف تعمل الدكتاتوريات، ص. 27.

(38) - دروز-فنست، «الجيش السوري وانتفاضة 2011، في الجيوش وحركات التمرد في الربيع العربي، تحرير ألبرخت (مطبعة جامعة بنسلفانيا، 2016)، ص. 174. للمزيد من المناقشات الحاسمة، انظر ألبرخت، «هل ينجح الانقلاب؟ العلاقات السياسية العسكرية في الأنظمة الاستبدادية وسط الانتفاضات العربية»، سياسات البحر الأبيض المتوسط المجلد 20، العدد 1 (2015): ص. 54-36؛ ألبرخت، «أسطورة منع الانقلابات: أخطار وحالات الانقلابات العسكرية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، 1950-2013»، القوات المسلحة والمجتمع المجلد 41، العدد 4 (2015)، ص. 87-659.

(39) - دبس وجومانز، «نوع النظام، ومصير القادة، والحرب»، ص. 431؛ بونينو دو ميسكويتا، «منطق البقاء السياسي، (كامبريدج، الكتلة: كامبريدج، 2005)؛ بونينو دو ميسكويتا وسي، «الخلافة السياسية: نموذج الانقلابات والثورة والتطهير والسياسة اليومية»، مجلة حل الصراعات، المجلد 61، 2017.

(40) - سينغ، الاستيلاء على السلطة: المنطق الاستراتيجي للانقلابات العسكرية (منشورات جامعة هوبكنز، 2014)، ص. 222.

(41)، إذ كان يُنظر إليهم، بشكل جماعي وموحد، على أنهم مسؤولون عن بدء الاستفزازات تجاه إسرائيل (42). وكذلك، يرى جيديس ورايت وفرانتز النظام البعثي وحدةً مترابطة بدأت مع انقلاب ما يسمى بـ «اللجنة العسكرية» في عام 1963، وكان من الممكن أن يكون «حدثًا في دكتاتورية الأسد التي لا تزال تحكم جزءًا كبيرًا من سورية، كما هو مكتوب» (43). على النقيض من ذلك، يجادل كوهلر بأن خسارة الحرب كانت تتزامن مع صراع على السلطة بين الأسد وجديد، وأنّ الأسد كان سيقدم بعد ذلك بنشاط مجموعة من الإصلاحات التي تهدف إلى تحويل النفوذ على الجيش في مواجهة الذراع السياسية للحزب لصالحه، تمهيدًا لتوليئه السلطة في تشرين الثاني/ نوفمبر 1970 (44). ولاحقًا تم تحديد هذا التاريخ أيضًا على أنه «بداية» نظامه في الأدبيات المتخصصة حول دكتاتورية الأسد (45).

يؤكد هذا القسم أن استيلاء نظام الأسد وتوطيده كان عملية متعاقبة بين عامي 1968 و1972، حيث تطلبت أيضًا سلسلة من العناصر الطارئة، من ضمنها علاقة الأسد الفردية طويلة الأمد داخل الجيش، والفرص المواتية (لحظات من الانتهازية)، والصدقة أيضًا إضافة إلى رأسماله السياسي للأعضاء الأساسيين في «مجموعته» والخوف الجماعي من انهيار النظام (البعثي). ومن ثم فإن هذا القسم يصحح ويتعد عن التحليلات الأكاديمية المذكورة أعلاه، وكذلك عن معظم المؤلفات المتعلقة بالحالة السورية، بطريقتين: الأولى، لم يحدد تاريخ الاستيلاء على سلطة الأسد في عام 1970، بل عام 1968. والثانية، يظهر أن «سلطته» من حيث التأثير واتخاذ القرارات كانت هشّة ومشروطة بحكم الاعتماد على كثير من الموظفين غير الرسميين والعوامل الاقتصادية، وأن سلطته لم توطّد إلا بعد انتخابه في عام 1971. ومن ثم فإنه من الضروري العودة إلى مكان اجتماع القيادة القطرية لحزب البعث الطارئ بعد الهزيمة والعلاقات التي عززتها.

على الرغم من أن اسمه قد تم طرحه كخليفة للأسد، وزير للدفاع، صوت الجندي لصالح الأسد على أنه «لفتة رفاقية» (46). قد يُعزى ذلك إلى علاقة الثنائي التي استمرت ثمانية أعوام منذ تشكيل اللجنة العسكرية (وهذه نقطة سنعود إليها). ومع ذلك، قد يكون هناك عامل آخر هو أن الأسد نفسه قدم دعمه لإعلان الجندي، أي أن الحزب يجب أن يلتزم بشدة بموقفه الخارجي المتشدد (47). وفي رواية سيل، لم تتوقف لعبة إلقاء اللوم على الحزب بعد الهزيمة إلا عن طريق «إدراك أن عدم رصّ الصفوف يمكن أن يجعل النظام

(41) - هونيغ وريتشارد، «الواقعية أم الراديكالية: شرح الخيارات الإستراتيجية للحكام الأوتوقراطيون بعد الهزائم العسكرية في الشرق الأوسط»، مجلة الشرق الأوسط وأفريقيا 6، العدد 2 (2015): ص. 129.

(42) - المرجع السابق.

(43) - مرجع سابق، جيديس ورايت وفرانتز، كيف تعمل الدكتاتوريات، ص. 28.

(44) - كوهلر، «الضباط والأنظمة: الأصول التاريخية للعلاقات السياسية العسكرية في جمهوريات الشرق الأوسط»، في ألبرخت، وكرواسان، ولوسون، الجيوش والتمردات في الربيع العربي، (فيلادلفيا: منشورات جامعة بنسلفانيا، 2016)، ص. 50.

(45) - انظر على سبيل المثال، فاروق العلي، «نشأة المجتمع العلوي في سورية»، في كير ولاركين، علويو سورية: الحرب والعقيدة والسياسة في بلاد الشام (أكسفورد: منشورات جامعة أكسفورد، 2015)، ص. 27-48.

(46) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 142.

(47) - مرجع سابق، بطاطو، فلاحو سورية، ص. 172.

برمته عرضة للخطر”⁽⁴⁸⁾. ويسلّط هذا المقطع الضوء على أن الخلافات، بين جديد والأسد، لا يمكن أن تقتصر على مسألة الرأي وحده، كما يدعي كوهلر، بل هناك اختلافات جوهرية عديدة..

وأفضل تفسير لذلك هو حقيقة أن حزب البعث كان يحمل انقسامات عدة منذ أواخر الخمسينيات. على المستوى العابر للحدود، تمت الإشارة إلى هؤلاء على أنهم معسكرات إقليمية وقومية تنتشر عبر جناحها العراقي والسوري⁽⁴⁹⁾. وعلى الصعيد الوطني في سورية، كان هناك مزيد من المواقف المتباينة مع بعض أعضاء المؤسسة العسكرية السورية فيما يتعلق بدور (1) مصر والناصريين السوريين والتعاون معها⁽⁵⁰⁾، و(2) إسرائيل والمقاومة الفلسطينية والعلاقة معها، فضلاً عن (3) إصدار سياسات اجتماعية واقتصادية محلية⁽⁵¹⁾.

نشأت هذه الانقسامات على التوالي ردًا على الاستياء الشعبي من السياسات الاجتماعية والاقتصادية لحزب البعث، وكذلك نضاله خلال فترة الجمهورية العربية المتحدة (1958-1961)، وتفاقمت، وفقًا لنيكولاس فان دام، بسبب الهزيمة⁽⁵²⁾. في عام 1959، قدّم الانتهاك المزعوم للسيادة السورية من قبل المخابرات المصرية وحلّ النظام البرلماني خلال فترة حكم الجمهورية العربية المتحدة، اللواء محمد عمران ومزيد الهندي وبشير صادق، وكذلك النقيب عبد الغني عياش، الحافظ لتأسيس اللجنة العسكرية⁽⁵³⁾. بعد نقل الثلاثة الأخيرين إلى مناصب دبلوماسية في الخارج، انضم إلى تلك اللجنة كل من الأسد، وجديد، والمير، والجندي، والنقيب عثمان كنعان ومنير الجيرودي في عام 1960⁽⁵⁴⁾. بالإضافة إلى ذلك، انضم أعضاء من حزب البعث اعتقدوا أن اثنين من الآباء المؤسسين، صلاح الدين البيطار وميشيل عفلق، مسؤولون عن تراجع دور حزب البعث داخل الجمهورية العربية المتحدة. لم يتم إعادة انتخاب الاثنين (عفلق والبيطار) في عام 1965، ثم طردوا إلى العراق⁽⁵⁵⁾. ومن هنا، وعلى الرغم من أن الجمهور السوري رجّح أن البعث، مثل المذكورين أعلاه جيديس ورايت وفرانتز⁽⁵⁶⁾، بكونه كيانًا أحاديًا، وظنوا أن الحزب بالكامل سيكون مسؤولاً عن هزيمة عام 1967، فإن الناس المشاركين في صنع القرار في سورية كانوا في واقع الأمر منقسمين بين شبكات مختلفة.

(48) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 143.

(49) - دفلين، حزب البعث: التاريخ من أصوله حتى عام 1966، منشورات مؤسسة هوفر (ستانفورد، كاليفورنيا: مطبعة معهد هوفر، 1976)، ص. 217؛ وبايس، سورية الكبرى: تاريخ الطموح (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1990)، ص. 157؛ وبطاو، فلاحو سورية ص. 133، 157؛ وهينبوش، سورية: الثورة من فوق، ص. 49.

(50) - رايش، القادة السياسيون للشرق الأوسط المعاصر وشمال أفريقيا: قاموس سيرة ذاتية (مطبعة غرينوود، 1990)، ص. 36؛ بطاو، فلاحو سورية، ص. 142 - 143؛ هينبوش، سورية: الثورة من فوق، ص. 47-49.

(51) - مرجع سابق، فان دام، الصراع على السلطة في سورية، ص. 63.

(52) - المرجع السابق، ص. 62.

(53) - مرجع سابق، بطاو، فلاحو سورية، ص. 144، وسيل، أسد سورية، ص. 61-64.

(54) - مرجع سابق، بطاو، فلاحو سورية، ص. 144.

(55) - مرجع سابق، بايس، سورية الكبرى، ص. 155-156.

(56) - مرجع سابق، جيديس ورايت وفرانتز، كيف تعمل الديكتاتوريات، ص. 28-31.

بوحى من انقلاب 8 شباط/ فبراير 1963 لفرع البعث العراقي، قامت اللجنة العسكرية بانقلاب على النظام البرلماني السوري في ليلة 7-8 آذار/ مارس 1963⁽⁵⁷⁾. وبعد ذلك، شكلوا المجلس الوطني لقيادة الثورة من اثني عشر بعثيًا، وثمانية ناصريين ومستقلين، وأقاموا إصلاحات اجتماعية اقتصادية أسفرت عن احتجاجات الطلاب والفلاحين في جميع أنحاء البلاد من شباط/ فبراير 1964 فصاعدًا⁽⁵⁸⁾. وعلى ضوء هذه الخلفية، يمكن القول إن إلقاء اللوم من عامة الناس تجاه النكسة على السياسة الخارجية العدوانية لحزب البعث أدى إلى تفاقم موقف الحزب غير الشعبي في سورية، ولكنه لم يخلق موقفًا غير شعبي للحزب في سورية⁽⁵⁹⁾. للسيطرة على المعارضة العامة بعد هزيمة 1967، رُشح الجندي الذي دعم الأسد في التصويت، وكان من الموالين المعروفين للأمين العام [المساعد] لحزب البعث صلاح جديد، كرئيس لمكتب الأمن القومي للحزب في أيلول/ سبتمبر 1967، وقام بتوسيع أجهزة أمن الدولة والمخابرات⁽⁶⁰⁾.

ما علاقة الأسد بصلاح جديد؟

حتى هزيمة عام 1967، كان الأسد منحازًا إلى جانب صلاح جديد وسياساته. خلال انقلاب آذار/ مارس 1963، قدّم كلاهما الدعم للرجل القوي آنذاك وقائد اللجنة العسكرية: عمران (الذي أدخل جديد إلى [دمشق] لتولي مكتب شؤون الضباط المهم) وقاد الأسد مجموعة استولت على "مطار الضمير شرق دمشق، حيث تركزت القوات الجوية بأكملها، وقدّمت الدعم الجاد الوحيد للانقلاب"⁽⁶¹⁾. ومع ذلك، في عام 1966، حاول عمران، في منصبه السابق كوزير للدفاع، نقل عزت جديد، قريب صلاح جديد (*)، من فيلق الدبابات، والسويداني، الرئيس السابق لإدارة الضباط (وبحلول عام 1967 رئيس الأركان)، والرائد سليم حاطوم الذي أمّنت وحدته محطة الإذاعة والتلفزيون الوطنية والحكومية. بعد ذلك، اندلع اشتباك عسكري مع الألوية الموالية لجديد⁽⁶²⁾. وعلى الرغم من حقيقة أن الأسد، بصفته رئيسًا لسلاح الجو في ذلك الوقت، لم يرسل قواته لدعم القتال، بل "أمضى ذلك الصباح على الهاتف، يعدّ ويتوعدّ الضباط في الوحدات في جميع أنحاء البلاد لإحضارهم إلى جانب اللجنة"⁽⁶³⁾، ومن ثمّ كوفئ بحصوله على منصب عمران السابق في شباط/ فبراير 1966 لولائه لصلاح جديد.

منذ أن جمع الأسد خبرة الحرب، خلال أزمة السويس عام 1956 في مصر و«إحالاته على التقاعد» من كانون الأول/ ديسمبر 1961 إلى آذار/ مارس 1963، يؤكد بطاطو أن «حياته المهنية» بنيت على العلاقات لا

(57) - مرجع سابق، سيل

(58) - لوسون، لماذا تذهب سورية إلى الحرب: ثلاثون عامًا من المواجهة (إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، 1996)، ص. ص 23 - 27؛ وسيل، أسد سورية، ص. ص 76-78.

(59) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 143.

(60) - المرجع السابق، ص. 150.

(61) - المرجع السابق، ص. 77.

(*) - لم يُذكر أن عزت جديد هو من أقارب صلاح جديد، ومن المعروف أن الأول من ريف طرطوس، والآخر من ريف اللاذقية [المترجم].

(62) - المرجع السابق، ص. ص 101-102.

(63) - المرجع السابق، ص. 102.

على المواهب العسكرية⁽⁶⁴⁾. يمكن القول إن انتهازية براغماتية كانت توجه الأسد حيث «فضل فيها أن يحاول أن يصحح الأمور أو... أن يطهر الحزب نفسه، بأليته الخاصة»⁽⁶⁵⁾. بعد التصويت على إطاحة الأسد في عام 1967، كان «الاستياء» هو الذي أشعل فتيل النار لديه⁽⁶⁶⁾. ولا يُستبعد أن الأسد كان مسؤولاً عن بعض القرارات الرئيسية أثناء الحرب، ويمكن قراءة استيلائه على السلطة لاحقاً على أنه، من بين عوامل أخرى، مستوحى من استعداده السياسي «للتراجع»، عما عدّه الأسد بمنزلة فشل عسكري وسياسي. للتوضيح، التقى الأسد بوزير الدفاع الروسي لتشكيل شراكة عسكرية جديدة في آب/ أغسطس 1967. وإضافة إلى ذلك، خطط ابتداءً من كانون الأول/ ديسمبر 1970 فصاعداً لاستعادة القنيطرة مع أنور السادات، الرئيس المصري⁽⁶⁷⁾، وكرّس أيضاً كثيراً من سياسته الخارجية لاحقاً لاحتواء إسرائيل⁽⁶⁸⁾. واستفاد الأسد من واقع أن الضباط (ومعظمهم من الدروز) الذين يُشتبه في تورطهم في محاولة الانقلاب الفاشلة في أيلول/ سبتمبر 1966 التي قادها الرائد سليم الحاطوم، ظلّوا يُطردون من الجيش بعد هزيمة حرب حزيران/ يونيو، واستبدلهم بشبكة خاصة من الموالين له (في الغالب العلويين)⁽⁶⁹⁾.

غير أن التحول الحاسم في ميزان قوته تجاه صلاح جديد بسبب الموالين لم يحدث إلا من خلال تفاعل عوامل عدة لصالحه، في شباط/ فبراير 1968. أي أن رئيس أركانه أحمد السويداني هو الذي أعطى -حسب رواية الأسد لحرب 1967⁽⁷⁰⁾- الأمر المثير للجدل بسحب القوات السورية من القنيطرة في الليلة الحاسمة من 9 إلى 10 حزيران/ يونيو، وكان معروفاً أنه أكثر ولاءً لصلاح جديد منه، وكان مشتتباً بأنه متورط في «الانقلاب الفاشل» ضد جديد⁽⁷¹⁾. بعد طرد السويداني مع 160 ضابطاً من المشتبه في ولائهم له، تمت ترقية مصطفى طلاس، صديق الأسد المقرب، إلى هذا المنصب⁽⁷²⁾. كان طلاس والأسد على علاقة ببعضهما البعض منذ أيام الكلية الحربية في حمص. لقد قاتلوا جنباً إلى جنب في مصر، وبعد ذلك عهد الأسد إليه بحماية زوجته وابنته بشرى للعودة إلى سورية أثناء سجنه⁽⁷³⁾. وقد أثبت طلاس أيضاً «ولاءه» بإرسال لوائه لدعم

(64) - مرجع سابق، بطاطو، فلاحو سورية، ص. 168.

(65) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 100 و144.

(66) - المرجع السابق.

(67) المرجع السابق، ص. 185، وسيل وبتلر، «إستراتيجية الأسد الإقليمية والتحدي من نتيهاهو»، المصدر: مجلة دراسات فلسطينية، المجلد 26، العدد 1 (1996): ص. 31، وبيرثيس وآخرون، بناء الدولة والأمن القومي وتحضيرات الحرب في سورية»، في الحرب والمؤسسات والتغيير الاجتماعي في الشرق الأوسط (بيركلي ولوس أنجلوس، كاليفورنيا: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 2000)، ص. 151.

(68) - مرجع سابق، سيل وبتلر، إستراتيجية الأسد الإقليمية والتحدي من نتيهاهو»، ص. 27-28، وفان دام، الصراع على السلطة في سورية، ص. 62-63.

(69) - مرجع سابق، فان دام، الصراع على السلطة في سورية، ص. 58-60.

(70) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية.

(71) - المرجع السابق، ص. 148.

(72) - مرجع سابق، فان دام، الصراع على السلطة في سورية، ص. 60.

(73) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 68-69.

انقلاب شباط/ فبراير 1966، ومحاكمة الرائد حاطوم وأنصاره منذ آذار/ مارس 1967⁽⁷⁴⁾.

بعد ذلك، شرع الأسد في إزالة أصحاب المصلحة الرئيسيين الآخرين الذين كانوا موالين لجديد على التوالي. في تشرين الأول/ أكتوبر 1968، تمكن الأسد، بألية غير معروفة، من ترتيب تعيين أحمد المير في مدريد، وإخراج عزت جديد من قيادة القوة الضاربة الأساسية في سورية، اللواء 70 مدرعات⁽⁷⁵⁾. في الفترة من 25-28 شباط/ فبراير 1969، نقل حافظ وأخوه رفعت الذي كان يقود كتيبة كانت تحت قيادة محمد عمران الدبابات إلى مواقع رئيسة عدة، منها مواقع صحيفتي (الثورة، والبعث)، وإذاعتي دمشق، وحلب، ومكاتب حزب البعث في اللاذقية وطرطوس⁽⁷⁶⁾. من 1 إلى 2 آذار/ مارس، حاصر رفعت مكتب الأمن القومي التابع للجندي، بعد اعتقاله جميع السائقين الذين دخلوا وخرجوا من المبنى، قبل أن يدرك الجندي^(*) نفسه ما كان يحدث، ويطلق النار على نفسه⁽⁷⁷⁾. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 1970، قام الأسد بسجن صلاح جديد والقيادة المدنية للحزب⁽⁷⁸⁾، وهو التاريخ المعتمد في الأدبيات المتخصصة عن نظام حافظ الأسد لتحديد تاريخ بدء نظامه.

بحكم الواقع، لقد أثر الأسد في عملية صنع القرار في سورية منذ عامي 1968 و1969 فصاعدًا، في ما يُشار إليه بـ «ازدواجية السلطة» وفق تعابير البعث⁽⁷⁹⁾. للتوضيح، عندما التقى السياسي اللبناني، محسن إبراهيم، بصلاح جديد عام 1969، أوصى إبراهيم جديد بأن «يهرب/ ينجو بجلده»⁽⁸⁰⁾. علاوة على ذلك، في أيلول/ سبتمبر 1970، نصح نور الدين الأتاسي، رئيس الدولة الرسمي السوري، الأخضر الإبراهيمي، الدبلوماسي الجزائري، بلقاء الأسد لا به شخصيًا، لمناقشة الأمور السياسية⁽⁸¹⁾. وبذلك، لم تعتمد «قوة/ سلطة» الأسد في تشكيل السياسة السورية فقط على التأثير الخاص لأعضاء شبكته من الموالين في الأجهزة العسكرية والأمنية السورية، كما تروج الأدبيات المتعلقة بتشكيل النظام الاستبدادي⁽⁸²⁾. وبدلاً من ذلك،

(74) - المرجع السابق، ص. 149، ومبيض، الحرير والفضة: رجال ونساء صنعوا سورية 1900-2000 (سياتل، 2006)، ص. 90.

(75) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 149.

(76) - المرجع السابق، ص. 151.

(*) - ربما من الأسباب التي دفعت الجندي إلى الانتحار إدراكه أن حافظ الأسد قد استحكم بالسلطة جيدًا أثناء حكم صلاح جديد، وتحديدًا من عام 1968، من خلال شبكات الضباط التي أسسها الأسد عقب انقلاب حاطوم الفاشل، واحتفاظه بالسيطرة على المخابرات العسكرية بعيدًا عن سيطرة الجندي (مكتب الأمن القومي)، وتأسيسه مخابرات القوى الجوية كشعبة تابعة للمخابرات العسكرية إداريًا، وإشرافه عليها من خلال محمد الخولي، ومن ناحية ثانية، معرفة الجندي الجيدة بتردد صلاح جديد في حسم الموقف من حافظ الأسد، هذا التردد الذي أطاح به في النهاية، وبالرغم من سيادة الخطاب الأيديولوجي «اليساري» لصلاح جديد، فإن العمق الطائفي قد يكون أحد الأسباب وراء ذلك التردد. [المترجم].

(77) - المرجع السابق، ص. 151-152.

(78) - المرجع السابق، ص. 149، 151، 164؟

(79) - مرجع سابق، بطاطو، فلاحو سورية، ص. 145، 173.

(80) - مرجع سابق، الحاج صالح، «الهبزيمة والدولة: حزيران 1967 وسورية حافظ الأسد».

(81) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 162.

(82) - انظر على سبيل المثال جيدس، ورايت، وفرانتز، كيف تعمل الديكتاتوريات، ص. 25؛ وكذلك السيد هابر، «الحكومة الاستبدادية»، في كتيب أكسفورد للاقتصاد السياسي، تحرير وينغاست وويتمان (نيويورك، منشورات جامعة أكسفورد، 2006)، ص. 693-707.

اعتمدت قوة/ سلطة الأسد على شبكات متعددة الطبقات من الموالين الذين يتألفون من عنصرين.

كان العنصر الأول هو نفوذ وشبكة أعضاء «مجموعته»، أي صديقه الطويل الأمد مصطفى طلاس وشقيقه رفعت الأسد. كان كلاهما لاعبًا ماهرًا، وقد ولم يرتقيا إلى موقعيهما بسبب نفوذ الأسد فقط، ولكن بسبب قدراتهما العسكرية وعلاقاتهما والحفاظ على أنصارهما⁽⁸³⁾. والعنصر الثاني كان علاقة الأسد والموالين له مع السكان العاديين والجيش بشكل عام.

لتوضيح ذلك، كان «الصراع على السلطة»، بين الأسد وجديد، معروفًا نسبيًا بين البعثيين، في أواخر الستينيات من القرن الماضي، ولذلك كان على الأسد توخي الحذر، وكان انقلابه على السلطة أمرًا لا جدال فيه. على النقيض تمامًا، حاول جديد وأنصاره تطهير بعض أنصار الأسد البارزين، لكنهم فشلوا في ذلك، لأن الأسد وطلاس كانا يسيطران على الجيش، وكان الجيش يمتلك أسلحة سورية ثقيلة⁽⁸⁴⁾.

بعد أن رفض الأسد منح الدعم الجوي للمقاومة الفلسطينية في أيلول/ سبتمبر الأسود الأردني، عام 1970، جرت محاولة أخرى لإطاحة الأسد من حزب البعث. وابتداءً من 30 تشرين الأول/ أكتوبر إلى 12 تشرين الثاني/ نوفمبر، صوّت مؤتمر البعث القومي الطارئ مرة أخرى على عضوية لجنة الأسد. هذه المرة، خسر الأسد، لأن جديد كان لديه مزيد من المؤيدين في الجناح السياسي لحزب البعث⁽⁸⁵⁾. ولأن الأسد كان لديه أفراد عسكريون متمركزون سابقًا حول قاعة المؤتمرات، فإن نتيجة التصويت كانت لا تساوي قيمة الجبر الذي كتبت به⁽⁸⁶⁾. احتجزوا صلاح جديد والدكتور نور الدين الأتاسي، وأعادوا وضع بعض الأفراد من ذوي الكفاءات المتوسطة الموالين لهم سابقًا في السفارات في الخارج، وسمحوا لآخرين بالفرار من البلاد⁽⁸⁷⁾.

بعد ذلك، حاول الأسد تمييز نفسه عن توجهات صلاح جديد السياسية السابقة في نظر الشعب السوري: في أوائل السبعينيات، أصدر مجموعة من السياسات الاجتماعية والاقتصادية الليبرالية التي أدت إلى النمو الاقتصادي، وأعلن نفسه أنه «منقذ» الأمة/ البلاد السورية، أي الوحيد الذي يتمتع ببصيرة لصالح الشعب⁽⁸⁸⁾. علاوة على ذلك، مثل الأنظمة البعثية قبل نظامه، قام الأسد بتطهير سلك الضباط من ذوي الرتب المتوسطة والعالية، من الأجهزة الأمنية والعسكرية الموالية لجديد، واستبدلهم بموالين له حتى عام 1972، وفتح عضوية البعث أمام الناصريين⁽⁸⁹⁾. في حين قد يفسر المرء هذه الإجراءات على أنها «مانعة للانقلاب»، ويتوقع سيل أن يكون هذا هو الفلترة التي اكتسبها الأسد بسبب تجربته القيادية المثيرة للجدل

(83) - فابريس بالانش، "أذهب إلى دمشق، يا ولدي"، التحولات الديموغرافية العلوية في ظل حكم حزب البعث، في كيرولاركن، علويو سورية: الحرب والعقيدة والسياسة في بلاد الشام (أكسفورد: منشورات جامعة أكسفورد، 2015)، ص. 101.

(84) - مرجع سابق، فان دام، الصراع على السلطة في سورية، ص. 65، وسيل، أسد سورية، ص. 150.

(85) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 163.

(86) - المرجع السابق، ص. 164.

(87) - المرجع السابق، ص. 163، وبطاو، فلاحو سورية، ص. 175.

(88) - هينبوش، سورية: ثورة من الأعلى، ص. 67، 73، وأوين، صعود وسقوط الرؤساء العرب من أجل الحياة، ص. 20، 80، وبنيثيس، الاقتصاد السياسي لسورية في عهد الأسد (لندن، توريس، 1997)، ص. 66.

(89) - مرجع سابق، هينبوش، سورية: ثورة من الأعلى، ص. 66.

خلال حرب 1967⁽⁹⁰⁾، يشير الدليل إلى أن هذا التقسيم والحفاظ على طبقات متعددة من الشبكات الموالية كانت النواة ذاتها التي بنيت عليها قوته/ سلطته. وباختصار، إن تلك المناورات، إلى جانب الانتصار السياسي في حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، هي التي جعلت الأسد رئيسًا شعبيًا خلال الأعوام الأولى من نظامه⁽⁹¹⁾. كان هذا واضحًا أيضًا في حقيقة أنه انتخب في شباط/ فبراير 1971 بنسبة (99) في المئة^(*) رئيسًا لسورية⁽⁹²⁾.

بإعادة تلك الرؤى من شبكات المواليين إلى المعركة المثيرة للجدل حول القنيطرة، يمكن التكهن بأنه نظرًا لأن المير المنفي سياسيًا بعد عام 1967 لم يكتف بقيادة جبهة الجولان، بل كان أيضًا من المواليين المعروفين لصالح جديد⁽⁹³⁾، يبدو من غير المحتمل أن القيادة السياسية تحت تأثير جديد لم تكن على علم بالتطورات المثيرة للجدل المحيطة بالقنيطرة والبيان المذكور أعلاه رقم (66) خلال الحرب. بحلول حزيران/ يونيو 1967، سيطر صلاح جديد وأنصاره الآخرون على السياسة الخارجية لسورية، بالإضافة إلى السيطرة على معظم قواتها العسكرية، على عكس الأسد. في هذا السياق، كان انسحاب القوات السورية من القنيطرة من بنات أفكار أنصار جديد العسكريين، مثل المير، واستخدمت القيادة السياسية البث الدرامي للبيان رقم 66 على أمل الحصول على دعم القوى العظمى. وهكذا، فإن حافظ الأسد هو المسؤول - بلا شك - عن كثير من المظالم التي أوقعها نظامه بعد ذلك، أما ما يتعلق بحرب 1967، فلا يمكن إلا أن يحاسب على خسارة سلاح الجو السوري^(*).

(90) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية، ص. 149.

(91) - مرجع سابق، بيثيس، الاقتصاد السياسي لسورية في عهد الأسد (لندن، توريس، 1997)، ص. 136.
(*) - لم تكن النسب التي حصل عليها الأسد ومن بعده ابنه صحيحة، وإنما كانت من صناعة الأجهزة الأمنية [المترجم].

(92) - مرجع سابق، أوين، صعود وسقوط الرؤساء العرب من أجل الحياة، ص. 81.

(93) - مرجع سابق، بطاطو، فلاحو سورية، ص. 153، وسيل، أسد سورية، ص. 149.
(*) - لم يكن حافظ الأسد مسؤولًا عسكريًا فقط، بل كان من ضمن القيادة السياسية للحزب (عضو في القيادة القطرية)، وهو الذراع التنفيذي العسكري للنظام السياسي الذي أعلن سقوط القنيطرة قبل دخول القوات الإسرائيلية إليها، ومسؤوليته عن ذلك مباشرة، إضافة إلى غيره من العسكريين والسياسيين [المترجم].

الخلاصة: ما دور حرب 1967 في استيلاء حافظ الأسد على السلطة وترسيخها؟

اعتمادًا على مراجعة واسعة للأدبيات، سلّطت هذه الورقة الضوء على وجود روايات متباينة، حول الدور الذي لعبه الأسد في خسارة محافظة القنيطرة خلال حرب 1967. إن تحليل هذه الورقة للعلاقات التي قامت عليها الحالة واجتماع حزب البعث الذي أعقب الحرب، يشير إلى أن البيان الحاسم رقم (66) كان من بنات أفكار الجناح السياسي لحزب البعث، وأن الأسد تعرّض للتوبيخ، لأنه وضع النظام في وضع يائس وتركه بلا قوة جوية، طالبًا اهتمام وضغط الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لوقف الهجوم الإسرائيلي. وقد كانت حالة الخوف الجماعي في صفوف أعضاء الحزب، من إطاحته من قبل السكان ومن قبل طبقات متعددة من مواليين وأصدقاء يثقون بالأسد ويثق بهم، أمرًا محوريًا، في استحواذ الأسد على منصب وزير الدفاع، والمحافظة عليه، والارتقاء إلى السلطة الحاكمة بعد الهزيمة.

في هذا الصدد، كان لهزيمة 1967 أثر ثلاثي. أولًا، كانت خسارة الحرب ومحافظة القنيطرة عاملًا مضخمًا للاستياء الشعبي من السياسات البعثية، وتهديدًا للبقاء الكلي للنظام. ثانيًا، فسر الأسد لعبة اللوم الداخلية لحزب البعث التي ألحقها به الحرب بأنها غير عادلة، ووفقًا لباتريك سيل، هي التجربة المحورية التي دفعته إلى تولي المسؤولية في السياسة السورية⁽⁹⁴⁾. ثالثًا، استخدم الأسد الزخم المضطرب داخل نقاشات البعث، وكذلك عمليات التطهير وخطط الانقلاب التي تم إنشاؤها، لوضع المواليين له على التوالي في مناصب عسكرية رفيعة المستوى، والقضاء على المواليين لخصمه صلاح جديد. وبالتالي، فإن «العلاقة» أو «الصدّاقه» و«الولاء» طويلة الأمد هي عمليات تدعم جميع أنواع توزيع الحصص والمناصب، وعمليات الحجز، وعمليات المحافظة عليها، وتعتمد بشكل كبير على تحركات شبكات الولاء الأخرى والمعارضة. كان هذا واضحًا في حقيقة أن عضوية الأسد في لجنة البعث بعد عام 1967 لم يحافظ عليها لأول مرة إلا من قبل رفيقه عبد الكريم الجندي الذي أصبح بعد ذلك بعامين أحد الأشخاص الذين احتاج إلى القضاء عليه أثناء استيلائه على الحكم من عام 1968 حتى عام 1972. لذلك، اعتمد الأسد على مصطفى طلاس، (صديقه طويل الأمد) وعلى شقيقه رفعت الأسد، الذين اعتمدوا بأنفسهم على مجموعة من المواليين والأصدقاء. كانت هذه المجموعة متعددة الطبقات حذرة، ولكنها لم تكن بلا منازع، كما أظهرت محاولات التطهير في عام 1969، وتصويت آخر على عضوية الأسد في لجنة البعث في عام 1970.

من خلال وضع العلاقات داخل النظام في مركز الصدارة، في عمليات صنع القرار داخل الأنظمة البعثية السورية في أواخر الستينيات، قدّمت هذه النتائج إسهامات في الأدبيات حول نظام الأسد، وحرب 1967، والأنظمة الاستبدادية بشكل عام. أولًا، إن تصور وجود شبكات متعددة من المواليين، كنوانة تكمن فيها «القوة» داخل نظام استبدادي، يُسلّط الضوء على طبيعته الطارئة والهيكل الديناميكي من أعلى إلى أسفل، وعلى طبيعة نظام البعث من أسفل إلى أعلى. ثانيًا، مكّنتنا هذا من رؤية القدرة على التأثير والسيطرة على القرارات، باعتبارها جوهر تحديد/تعريف «الرجل القوي» داخل النظام. في حالة الأسد، كان هذا يعني أنه تولى هذا المنصب بالفعل منذ عام 1968 فصاعدًا، من دون أن يزيح سلفه صلاح جديد علانية. ثالثًا، سمحت لنا النظرة الثاقبة للعلاقات السابقة بتقييم المصداقية والمصالح الخاصة التي تكمن وراء الحسابات المتباينة، حول مسار المعركة على محافظة القنيطرة خلال حرب 1967، وأظهرت تفسيرًا بديلًا

(94) - مرجع سابق، سيل، أسد سورية.

جديدًا. إن استخدامًا إضافيًا لهذا النهج العلائقي سيمكن من المقارنة مع المراحل الأخرى لنظام الأسد، على سبيل المثال، خلال ما يسمى بـ «أعوام الاضطراب» من 1976 حتى 1984، وكذلك عند تولي خليفته وابنه بشار الأسد، والحرب الأهلية السورية (2011-الآن). ويمكن للمرء أن يحقق أكثر في إمكانية وجود أي نوع من «التعلم» داخل النظام⁽⁹⁵⁾ و/أو في أنماط التعامل مع المعارضين السياسيين، ومن ثم يمكن اختبار النتائج: هل ستكون هناك رؤية جديدة في موضوع الاغتيالات المزعومة^(*) لكamal جنبلاط (1977) ورفيق الحريري (2005)؟ وهل سيكون التحليل العلائقي للأنظمة الاستبدادية في البلدان الأخرى مثمرًا في حد ذاته؟ ومع ذلك، إذا كان هناك شيء من هذا، فإن التحليل العلائقي للنظامين الأردني والمصري عام 1967، وكذلك التشاور مع مزيد من المصادر العربية غير المترجمة، مفيدان لإلقاء الضوء على الأبعاد العديدة للحرب ونتائجها في الشرق الأوسط.

(95) - على سبيل المثال، فيما يتصل بالتعلم بين الأنظمة، انظر هايدمان ولينديز، «التعلم الاستبدادي والضمود الاستبدادي: ردود فعل النظام على» الصحوة العربية»، العولمة، العدد 5 (2011): ص. ص 647-653.

(*) - تشير معظم الدلائل والتحقيقات إلى أن حافظ الأسد ووريثه كانا وراء الاغتيالات التي طالت الشخصيات البارزة في لبنان منذ دخوله عام 1976. [المترجم].

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

هو مؤسسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والاجتماعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضاً بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، وبالعلاقات العربية الإقليمية والدولية. يُنفذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميداناً للحوار البناء، وساحة لتلاقح الأفكار.

أبحاث سياسية

أبحاث اجتماعية

أبحاث اقتصادية

ترجمات

أبحاث قانونية

www.harmoon.org

مركز حرمون للدراسات المعاصرة
Harmoon Center for Contemporary Studies
Harmoon Arařtırmalar Merkezi

Doha, Qatar Tel. (+974) 44 885 996 PO.Box 22663
Istanbul, Turkey Tel. +90 (212) 813 32 17 PO.Box 34055
Tel. +90 (212) 524 04 05